



مُت فارغاً
د. سعد السلمي

الناس في العمل نوعان: الأول محفوف بالأنانية همه نجاح نفسه بأي ثمن، والثاني نوع يفكر في من هم حوله ويسعى لزرع الخير والنفع والمحبة فهما كلف الأمر، وحكمة "مت فارغاً" هي حكمة أو قصة ملهمة لكل إنسان يسعى ليكون من النوع الثاني.

فتابع معنا من خلال السطور التالية تلك الحكمة الرائدة في علوم التنمية البشرية والمهارات الذاتية:

سأل مدير أميركي زملاءه في اجتماع عمل: ما هي أئمن أرض في العالم؟ فبدأت تأتيه الإجابات، منهم من قال: إنها أرض الخليج الغنية بالنفط، ومنهم من قال: إنها أراضي الألماس في أفريقيا، فقال المدير: إجاباتكم خاطئة، إنها المقبرة، وبدأ يشرح لهم أن المقابر فيها ملايين الناس ممن قضاوا نحبهم وهم ما زالوا يحملون في جعبتهم الكثير من الأفكار الثمينة التي لم تر النور بعد، ولحسن الحظ كان أحد المستمعين بالصدفة المؤلف الأميركي الشاب تود هنري الذي أعجبه الفكرة كثيراً، فأطلق كتابه الشهير "مت فارغاً" أو "Die Empty"، حيث وضع فيه أفكاراً عملية تساعد الفرد على أن يفرغ يومياً ما في جعبته من طاقات وأفكار ومعلومات مفيدة له ولمجتمعها، والمتأمل لهذه الفكرة يجدها واقعية جداً، فكم من شخص ضائع في العلم أو في التجارب الحياتية يخطف الموت زهرة شبابه قبل أن يكرمنا بمخزونه الوفير؛ لأنه كان يؤجل عمل اليوم إلى الغد؟

وفي عالم الأعمال والحياة عموماً هناك من يطلق عليهم المرشدون أو أصحاب الحكمة أو التجارب العملية (Mentor) الذين يعكفون على تنوير الناس بأفكارهم وتجاربهم ومهاراتهم، فإذا تقاعس هذا الفرد عن دوره حرم غيره من خير كثير، ولو أن كل فرد في العالم قدم اليوم أفضل ما لديه بإتقان لصارت الحياة أجمل وأكثر نظاماً وانتشرت البهجة والسرور.

فمثلاً: عندما تتعطل مصالحن في دائرة حكومية أو خاصة، أو نسقط في حفرة، أو يتأخر إقلاع طائرنا لتسبب في إصلاح عطل فني سنجد أن شخصاً ما لم يؤدّ عمل ذلك اليوم على أكمل وجه، والحياة رحلة عطاء، فحين تعطي صديقك أو زميلك من وقتك وجهك ومشاعرك فأنت تساهم في تحسين بيئة العمل وراحة نفسك وغيرك، لكن الأهم أن يكون هذا العطاء مستمراً وليس مزاجياً، لذا قال مؤلف الكتاب تود هنري: لا تذهب إلى قبرك وأنت تحمل في داخلك أفضل ما لديك، اختر دائماً أن تموت فارغاً.

وليس شرطاً أن تطبع ما تكتب على شكل كتاب، ولكن لابد من كتابة ما تريد ليعلم به من بعدك، فذلك قمة العطاء والتفاني، وهذا المعنى اللطيف له أصل في ديننا، فهو نوع من الاستثمار في الآخرة؛ لأن الأفكار المفيدة جزء من العلم الذي ينتفع الناس به، وإذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث، منها: علم ينتفع به، ومثله من كتم علماً، فاستثمر لآخرتك ومث فارغاً.

د. سعد مسعد السلمي

تعليم جدة

رئيس وحدة الإدارة المدرسية بمكتب النسيم بجدة